

فضيلة الشيخ الدكتور جابر بن علي بن مهدي الطيب

في هذا العدد نلتقي برجل له إسهاماته الدعوية إلى جانب إسهاماته في مجال الفقه والقضاء، له حضور في وسائل الإعلام، وفي حلق التدريس في المسجد الحرم التي استفاد منها الكثير من الناس، عرفه عامة الناس، له إسهامات طويلة في خدمة القضاء، تلقى العلم على عدد كبير من العلماء في داخل المملكة وخارجها، فإلى ذلك الحوار مع فضيلة الشيخ الدكتور جابر بن علي بن مهدي الطيب.

أجرى الحوار: أحمد الحارثي

* نود أن تحدثونا عن نشأتكم ومراحل طلبكم للعلم ومشايخكم وأبرز من استفدتم منهم والأعمال التي أسندت إليكم؟

- أنا جابر بن علي مهدي الطيب، ولدت عام ١٣٤٧هـ في بيشة، ونشأت فيها، توفي والدي وأنا صغير السن وتولى رعاية شؤوني وتربيتي أخي الأكبر الشيخ محمد بن علي الطيب - رحمه الله - .

أما التعليم، فقد درست في أول حياتي في المدرسة السعودية الابتدائية ببيشة حتى تخرجت منها عام ١٣٦٣هـ، ودرست أيضاً في مسجدها على فضيلة الشيخ عبدالله بن حسن بن إبراهيم آل الشيخ

عندما كان قاضياً لبيشة - رحمه الله - درست عليه في الفرائض والفقه وفي الأصول الثلاثة وفي كتاب التوحيد للشيخ محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله - ثم في أول عام ١٣٦٤ هـ توجهت من بيشة إلى الطائف ابتغاء الدراسة بدار التوحيد، ولم يحصل لي في تلك السنة دخولها، فنزلت إلى مكة والتحقت بدار الحديث المكية، وكان مديرها آنذاك الشيخ محمد عبد الظاهر أبو السمح - رحمه الله - ثم في عام ١٣٦٨ هـ التحقت بدار التوحيد بالطائف والتي أمر بتأسيسها الملك عبدالعزيز - رحمه الله - ثم تخرجت منها في عام ١٣٧٢ هـ، ثم التحقت بكلية الشريعة بمكة المكرمة، وقد تخرجت منها في عام ١٣٧٦ هـ، ثم واصلت دراستي العليا بجامعة الأزهر بكلية الشريعة والقانون، وقد نلت الماجستير في الفقه المقارن بتقدير جيد جداً، ثم تحصلت على الشهادة العالمية شهادة الدكتوراه بتقدير ممتاز مع مرتبة الشرف الأولى.

الحديث أم بكلية الشريعة بمكة أم بجامعة الأزهر، أذكر منهم من يأتي: بدار التوحيد الشيخ الفرضي محمد بن سياد، والشيخ الفقيه عبدالله بن صالح الخليلي، والشيخ نسيب المجذوب مدير دار التوحيد آنذاك، ورياض هلال العالم المصري وغيرهم كثير، أما بدار الحديث، فقد درست على الشيخ محمد عبد الظاهر أبو السمح ومحمد عبدالرزاق حمزة، ومحمد عمر، كما درست على محمد أبي السمح، وعبدالرزاق حمزة في الحرم الشريف، وفي كلية الشريعة بمكة درست على مشايخ عدة ومن ضمنهم الشيخ محمد متولي الشعراوي، كما أن من المشايخ الذين درست عليهم أخي الشيخ محمد الطيب، وعبدالله بن حسن قاضي بيشة كما أشرت إليه سابقاً، أما المواد التي درستها عليهم فهي الفرائض والتفسير وأصوله والحديث وأصوله والفقه وأصوله والعروض والقوافي في الشعر والنحو وغير ذلك من العلوم الأخرى.

أما المشايخ الذين درست عليهم فهم كثيرون سواء الذين بدار التوحيد أم بدار

• كيف ينظر فضيلتكم إلى أهمية تلقي العلم من أفواه العلماء في المساجد وغيرها؟ وهل لتأليف الكتب الشرعية موقع في اهتماماتكم؟

- لا شك أن تلقي العلم من أفواه العلماء في المساجد وغيرها مهم جداً، فالعلماء الأوائل من الأئمة وغيرهم لم يطلبوا العلم إلا في حلقات المساجد على الأئمة، ومدرسة الرسول عليه الصلاة والسلام الأولى لم تكن إلا في المسجد، فكان أصحابه رضوان الله عليهم يتحلقون حوله ويستمعون إلى توجيهاته وإرشاداته، وحديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه الذي رواه - وهو حديث جبريل المشهور - لم يكن إلا في المسجد، وحديث الثلاثة المشهور - وهم الذين أقبلوا على الرسول عليه الصلاة والسلام وقد تحلق حوله أصحابه رضوان الله عليهم فوجد أحدهم فرجة فجلس فيها، وجلس الآخر خلف الصفوف، وأعرض الثالث . . الخ - دليل واضح على أهمية تلقي العلم على العلماء مشافهة .

١ - عينت عضواً بهيئة الأمر بالمعروف بالطائف وإماماً بمسجد المثناة وذلك في رمضان عام ١٣٦٤ هـ، ثم انتقلت من الطائف إلى سولة إماماً لجامعها عند الشريف أبو يابس - رحمه الله - ثم التحقت بدار التوحيد .

٢ - عندما تخرجت من كلية الشريعة في عام ١٣٧٦ هـ عينت ملازماً قضائياً في المحكمة الكبرى بمكة، وكان رئيسها آنذاك الشيخ عبدالله بن عمر بن دهيش - رحمه الله - وقد تتلمذت عليه في القضاء واستفدت منه كثيراً .

٣ - بعد الملازمة عينت قاضياً بمحكمة بيشة، فقد خلقتُ فيها أستاذي الشيخ عبدالله بن حسن بن إبراهيم آل الشيخ - رحمه الله - ثم عينت رئيساً لها بعد ذلك، وقد بقيت فيها - أي في قضاء بيشة - اثنين وعشرين عاماً، ثم رفعت إلى محكمة تمييز الأحكام الشرعية بالمنطقة الغربية، وقد باشرت عملي فيها في ١/١/١٣٩٩ هـ، وما زلت بها حتى أحلت على التقاعد في ١/٧/١٤١٧ هـ . لبلوغي السن القانونية سبعين عاماً

المذهب الحنبلي، ويتبع القضاة الدليل حيث وجدوه. أما المراجع الفقهية المعمول بها فهي الكتب المعروفة في المذهب الحنبلي لابن قدامة وكذلك الروض المربع شرح زاد المستنقع، وهذا درسناه بدار التوحيد بالطائف وبكلية الشريعة بمكة المكرمة على علماء أفاضل كالشيخ عبدالله بن صالح الخليلي رحمه الله وغيره.

*** القاضي مسؤوليته عظيمة يحكم بأمر الله، ولقد عملتم في القضاء فترة طويلة من الزمن تدرجتم فيها في السلك القضائي، فكيف يرى فضيلتكم عظم هذه المسؤولية؟ وما تقويمكم لما وصلت إليه مسيرة القضاء ونظمه في المملكة؟**

- لا شك أن القاضي مسؤوليته عظيمة، فالقضاء هو وظيفة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وخلفائهم من بعدهم كخلفاء نبينا عليه الصلاة والسلام ثم العلماء من بعدهم وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها إن شاء الله.

وقد عملت بالقضاء أربعين عاماً ونيفاً، واجهت فيها كثيراً من المشكلات والصعوبات، ولكني ولله الحمد تغلبت

أما تأليف الكتب النافعة التي يضع مؤلفوها فيها النقاط على الحروف ويشرحون لطلاب العلم المسائل التي يجهلونها لها أهمية عندنا خاصة وعند غيرنا، فالفرحة تغمرني إذا وقع في يدي كتاب جديد نافع، فإنه لا يستقر لي قرار حتى أقرأه، نسأل الله أن يعلمنا ما جهلنا إنه جواد كريم.

*** القضاء في المملكة العربية السعودية متميز بأنه مستمدة أحكامه من الشريعة الإسلامية السمحة، فما أبرز سمات هذا التميز وما أبرز كتب الفقه التي يستنبط منها القاضي أحكامه؟**

- القضاء في المملكة العربية السعودية - كما هو معلوم لدى الجميع - حر ليس لأحد عليه سلطان أو هيمنة إلا كتاب الله وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام، ولهذا اشتهر لدى كل الناس في أي مكان من العالم عدل قضاة السعودية ونزاهتهم وبعدهم عن الشطحات، فالقاضي في محكمته سلطان لا سلطان لأحد عليه إلا الأدلة الشرعية - كما أشرت إلى ذلك - فهذه أبرز سماته، وكما هو معلوم الحكم في السعودية على

عليها بتوفيق الله، ثم بتأييد الحكومة السعودية- أعزها الله- وحرصها على تنفيذ الأحكام الشرعية بدون تردد أو مراوغة، وهذا مما يشجع القضاة على السير في أعمالهم بكل جد واجتهاد، غير أنني ألاحظ على بعض القضاة الآخرين من الشباب عدم إنجاز القضايا المطروحة أمامهم بسرعة بعد وضوح الحق، وأنا لا أشك في عدالتهم، فعلى وزارة العدل ملاحظة ذلك، فالمسؤولية عظيمة، وتقويي لهذه الأمور أن أقول: الدولة أعزها الله لم تقصر في واجبها؛ فقد جعلت للقضاة كادراً خاصاً يشمل على رواتب ممتازة تبدأ من ملازم قضائي إلى قاضي تمييز، وأصبحت المحاكم تشتمل على عدد من القضاة، فلا عذر لهم في عدم إنجاز القضايا.

*** عمل فضيلتكم في القضاء فترة طويلة كيف ترون أهمية معرفة القاضي بالعمل الإداري؟**

- لا بد أن يكون القاضي خبيراً بالأعمال الإدارية خبرة كاملة، فهو ذو ثقافات متعددة، فهو حاكم شرعي عالم بالأحكام الشرعية، وكذلك الأعمال الإدارية.

*** كيف ترون إمكانية التعامل مع وسائل الإثبات الحديثة ومنها الإلكترونية والطبية وغيرها؟ ما أهميتها للقاضي للاستدلال على الجريمة؟ وهل يعتد بها؟**

- هذه الأمور يتخذها القاضي قرائن تقوي التهمة على الجاني كتحقيقات الشرطة وما أشبه ذلك من الإلكترونية والتقارير الطبية، فهي تدل على شكل الجنايات في المجني عليه، وهذه الأمور قد تعين القاضي على حكمه، غير أنه لا يحكم بها، وإنما يحكم باعتراف الجاني بجنايته صراحة أمامه ويسجلها بدفتر الضبط، ويوقع عليها، أو بشهادة الشهود العدول، وأقلهم شاهدان أو شاهد وامرأتان في الأموال، وأعلامهم أربعة شهود في جريمة الزنا وثلاثة شهود في الإعسار كما هو معلوم. والتقارير الطبية تعين القاضي على النجاح في تقدير الأرواح حسبما وضحتها الفقهاء- رحمهم الله- في تسميات الإصابات وهكذا.

*** ما الصفات والأداب التي يجب أن يتحلى بها القاضي؟ وما توجيهاتكم**

للقضاة عامة والمبتدئين منهم خاصة؟ ذلك؟ وما رؤيتكم حيال تحديث هذه الأنظمة وتطويرها؟

- أولاً لا بد أن يكون القاضي بالغاً، عاقلاً، رشيداً، طالب علم، وأن يكون قوياً في غير عنف، ليناً في غير ضعف، وله انتهاز الخصوم والأخذ على أيديهم حتى تكون المحكمة مهيبة.

*** يعرض للقضاة قضايا مستجدة ونوازل حادثة كيف يتم تكييف ذلك ومعالجته في تقديركم؟**

- نعم يعرض للقضاة قضايا مهمة جداً، ولكن يجب عليهم أن يعالجوها بالحكمة والصبر والأناة وأن يقيسوا تلك على أشباهها، وأن يستشيروا أهل العلم والمجربين، وأن يدعوا الله أن يأخذ بأيديهم وأن يوفقهم، وإذا علم الله إخلاص النية وفقهم وسدد خطاهم.

*** بحكم عنايتكم بتدريس الفقه ومسائله ما أهم الكتب المفيدة للقاضي في مجاله؟**

- سبق أن أشرت إلى أن خير كتب للقضاة هي المغني والروض المربع وغيرهما من الكتب الحنبلية.

*** أنظمة القضاء أصل في ضبط مسيرة العلم وإجراءاته، ما رأيكم في تقويم**

- أعتقد أن أنظمة القضاء في المملكة العربية السعودية قد أخذت بحظ وافر في التنظيم والانضباط والسير على الدرب الصحيح والاقتداء بالسلف الصالح وتطبيق الشريعة الإسلامية تطبيقاً صحيحاً، فنسأل الله لدولتنا الرشيدة التوفيق والسداد.

*** الثروة العلمية والقضائية لدى المحاكم في مجال الأحكام جديرة بالعناية، ولعله يحسن إخراجها للعموم للإفادة منها ما سبيل ذلك؟ وما قيمته في نظر فضيلتكم؟**

- في رأيي أن الأحكام الصادرة من المحاكم الشرعية تنقسم إلى قسمين: قسم سري لا ينبغي أن يطلع عليه الجمهور، وقسم فيه عبرة وموعظة للناس وتنبه لهم، فهذا لا بأس من إخراجها وتوضيحه للنفع العام.

*** الحرم الشريف مدرسة للعلماء والمحدثين، وفضيلتكم له إسهام طيب في التدريس في الحرم الشريف، ما الميادين التي تقومون بتدريسها في الحرم**

الشريف؟

الله الجميع ، كما أذكر حلقة الشيخ عبدالله محمد الصومالي وما زال حياً يرزق . . أما في الوقت الحاضر فالحلقات كثيرة أكثر من الماضي ، وهي منظمة تنظيماً محكماً أكثر من الحلقات القديمة ، كما أذكر حلقة البسام في الماضي وقد كان له حلقة قبل حلقاته الآن ، هذا ما أعرفه عن بعض حلقات التدريس في الحرم الشريف ، فنسأل الله التوفيق والهداية والرشاد وقبول الأعمال وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم .

أما العلوم التي أدرسها بالحرم الشريف فهي الفقه الحنبلي في الروض المربع والفرائض والتوحيد واللغة العربية ، وإجازة التدريس مُخْتَبَرًا بناءً على أمر خادم الحرمين الشريفين عام ١٤١٥ هـ في الخطاب الموجه لسماحة الرئيس العام لشؤون المسجد الحرام والمسجد النبوي الشيخ محمد بن عبدالله السبيل ، فقد رفع سماحته لمقام خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز آل سعود - حفظه الله - خطاباً اقترح فيه ترشيحي مدرساً بالحرم الشريف .

- التدريس في الحرم الشريف شرف عظيم وباب من خيرة الأبواب ، فهو طريق إلى الدعوة إلى الله ، فلأن يهدي بك الله رجلاً واحداً خير لك من حمر النعم ، فهو مجال عظيم لمن أراد الله له الفلاح والنجاح في الدنيا والآخرة ، إذ إنه مأوى ومقر ومقام أمين ، لكونه يفتد إليه الناس من جميع الأجناس ، وليس على من أراد لنفسه الخير إلا أن يختار له حلقة من الحلقات الكثيرة في الحرم - أي حلقات العلماء - وله أن يتنقل من حلقة إلى أخرى لكي يستفيد . . وقد كان في الماضي حلقات في الحرم الشريف أذكر منها حلقة إمام الحرم الشريف الشيخ محمد عبدالظاهر أبو السمح والشيخ محمد عبدالرزاق حمزة ومن قبلهم الشيخ عبدالله بن حسن آل الشيخ رئيس القضاة آنذاك وحلقة الشيخ عبدالله بن عمر بن دهيش رئيس المحكمة الكبرى آنذاك وحلقة الشيخ علوي مالكي وحلقة الشيخ محمد حامد فقيه رئيس جماعة أنصار السنة المحمدية في مصر وحلقة الشيخ حسونة السوداني وحلقة الشيخ سعد وقاص رحم

*** ماذا عن اهتمام فضيلتكم بتأليف الكتب الفقهية النافعة؟**

- لي بعض المؤلفات كرسالة الماجستير بعنوان «القذف في الإسلام» ورسالة الدكتوراه بعنوان «ابن القيم الجوزية وأثره في الفقه الإسلامي» ولي مقالات عدة نشرت لي في بعض الجرائد وقد جمعت بعضها في كتيب بعنوان «ها هنا كلمات هادفة» ولي أيضاً برنامج في الإذاعة بعنوان «الإسلام دين ودنيا» وآخر بعنوان «حديث من القرآن» وآخر بعنوان «نور بدأ من حراء».

*** خضتم فضيلتكم غمار التعلم والتعليم، نريد منكم أن تذكروا بعض تلاميذكم الذين درسوا عليكم؟**

- من أهم تلاميذي بعض أبنائي ومنهم الآن مدرسون في المدارس وبعضهم في وظائف أخرى غير التدريس .

*** مجلة العدل مطبوعة جديدة أضافتها وزارة العدل للمكتبة العلمية فما تقويمكم لإصدارها؟**

- إصدار هذه المجلة من وزارة العدل عمل عظيم يجب أن يقابل من القضاة وغيرهم بالترحاب والتشجيع والمؤازرة حتى تؤتي ثمارها يانعة طرية ونسأل الله لها النجاح وللقائمين عليها التوفيق والسداد .

*** هل من إضافات تودون التحدث عنها؟**

- ليس هناك ما أضيفه إلا الدعاء للقائمين على هذه المجلة بالتوفيق والسداد .